في ذكرى وفاته العشرين :

مصطفى فروخ العبقري والانسان

مصطفى فروخ بريشته

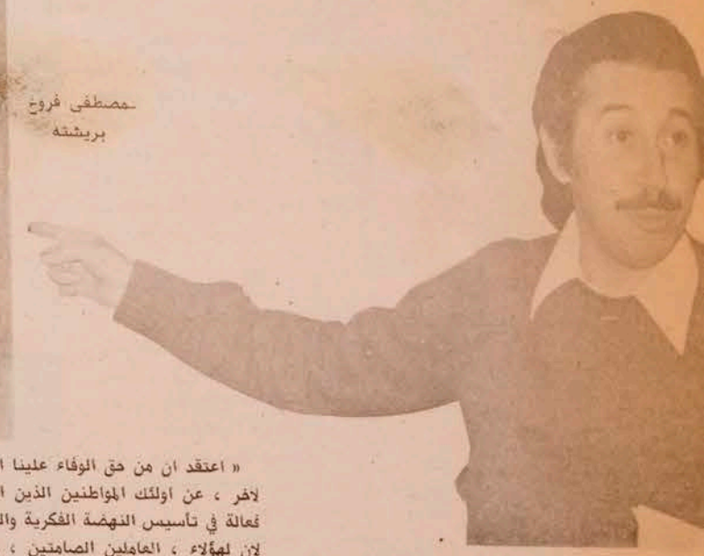

« هاني فروخ »

١٩٧٧ هو العام العشرون لوفاة مصطفى فروخ ، احد أبرز واشهر رسامي الشرق العربي . كانت لنا في هذه المناسبة زيارة الى منزل ولده هاني ، حيث تتكدس مئات التحف الفنية التي تركها هذا الفنان الفني في عطائه ، الصادق في احساسه بالقضايا الانسانية .

« اعتقد ان من حق الوفاء علينا التحدث من حين لاخر ، عن اولئك المواطنين الذين اسهموا مساهمة فعالة في تأسيس النهضة الفكرية والفنية في لبنان ، لان لهؤلاء ، العاملين الصامتين ، في اعناقنا دينا يجب وفاؤه . ولعمري انه من اولى الواجبات والزمها وذلك ان دل على شيء ، فانما يدل على مزية الاعتراف بالفضل ، كما ان فيه تشجيعا لغيرهم من الاحياء يدفعهم الى الاقتداء بهم والنسج على منوالهم ... لا ريب في ان نفرا قليلين فينا هم الذين يعرفون نهضتنا الفنية ، واقل منهم الذين يعرفون شيئا عن الذين عملوا لها واقاموا دعائمها ، كما انهم يجهلون الشيء الكثير عن الالام الممضة وعن البؤس الشديد الذي تحملوه وأفنوا فيه عمرهم في سبيل بناء هذه النهضة والخروج بها الى النور » .

هذه الكلمات التي كتبها الرسام الراحل مصطفى فروخ عن عبد الله الزاخر وكنعان ديب ويوسف سمعان وابراهيم سربيه وعلي الجمال وحسن التنير وسليم الحداد ومحمد سعيد مرعي ونجيب البخعازي وداود القرم وخليل الصليبي وحبيب سرور .. لم يدر في خلد كاتبها ، انه سيأتي يوم في لبنان ، تصبح القيم الفنية مقلوبة ، ويصير من الضروري الملح ان تعاد كتابة تلك الكلمات ، لكي يقف فن الرسم على رجليه من جديد ، ويستأنف مسيرته النهضوية في لحظة ولادة لبنان الجديد .

ثمن اللوحة طنبر أرز وسكر

ولد مصطفى فروخ في بيروت عام ١٩٠٠ وظهرت « دعوته » للرسم يوم كان طفلا . ولكن والدته عارضت تلبيته لتلك الدعوة السامية لان الرسم يتنافى مع الايمان الديني حسب اعتقادها ، اضافة الى انه لا يطعم خبزا . ولكن الوالدة سرعان ما تحمست للرسم حين رسم ولدها مصطفى صورة لجمال باشا وانور باشا بناء لطلب شخصية بيروتية من آل بيهم ، وكان من نتيجة الرسم هدية هي حمولة طنبر من الرز والقمح والسكر . ولولا ذلك ، لما كان رسم والدة الفنان يحتل مكانا بين مجموعة الوجوه النسائية التي تشكل جزءا مما تبقى من لوحات فروخ في منزل نجله هاني .

وسافر مصطفى الى ايطاليا حيث درس اصول الرسم في عاصمة الرسم روما ، وتخرج من جامعتها الملكية . وبعد ان اشترك في عدد من اكبر المعارض الفنية هناك ، انتقل الى باريس ، في العاصمة الفرنسية ، تابع فروخ نهل الثقافة الفنية على ايدي كبار الفنانين الفرنسيين امثال « بول شاباس » و« جول كرون » و « بومبار » و « لافرو » . وهنا ايضا عرض فروخ في معرض باريس الكبير المعروف « بالصالون » . وهذه شهادة قاطعة بمستوى صاحب العرض الفني ، اذ ان المعرض المذكور لا يحتضن سوى اللوحات التي تتمتع بمستوى رفيع من ابتكار الفكرة وبراعة الصنعة . ثم قام مصطفى فروخ برحلة فنية طويلة الى اسبانيا درس خلالها فن البناء العربي المزخرف في الاندلس ، مما كان له الاثر العميق في انتاجه الفني اللاحق .

واخيرا عاد مصطفى فروخ الى لبنان بعد ان اطمأن الى انه قد صار بامكانه ان يلعب دوره الخلاق ، في ورشة بناء نهضة فنية ، تكون جزءا من نهضة شاملة .

أهلا « بالمصور »

وباعتبار ان الثقافة الفنية لدى اللبنانيين ، ومنهم اهل مصطفى واصدقاؤه ومواطنوه في العاصمة اللبنانية ، كانت تحت الصفر بدرجات ، فانه بمادق من الطرائف المضحكة ـ المبكية ما جعله يرسم نفسه في اربع لوحات تمثل الاولى « الامل » والثانية « الرجولة » والثالثة « خيبة الامل » والرابعة « السخرية » .

ومن اطرف ما صادفه هذا الرسام الموهوب فور عودته ، ان ابناء محلة البسطة التحتا حيث يسكن قد اقاموا له حفلة « هوبرة » كانت تسمع خلالها اصوات تقول : « اهلا بالاستاذ .. اهلا بالمصور » . اما عبارة « جاء المصور » فقد تناقلتها الالسن بسرعة وبشمول ، مما حدا بشابين بيروتيين الى زيارة « المصور » وهما يحملان صورة المرحوم والدهم . وبعد السلام والتهنئة قالا لمصطفى : « شو رأيك تكبر لنا الصورة وتبرزها » ؟ فأجابهم بالايجاب وقال في نفسه « اجت الرزقة » ! واشتغل فروخ اسبوعين بصورة المرحوم حتى دهش الشابان وبادرا الى تهنئة « المصور » ثم قالا له بلهجة حاتمية : « أمور يا استاذ » ؟ اجابهما : « قد ما بتريدو » !

● انت صاحب الامر !

ـ له يا شباب ما تخجلوني !

● ما بيسير احكي كلمة ؟

ـ والله حاناخذ منكم ليرة عثملي !

● شو ؟ ليرة عثملي ؟ ليش شو حاطط بويا فيها ؟ امس دهنا المنجور كله بمجيدي ونص !

« السفور »

ـ معاوية يركب البحر .

الى متى تبقى "معاوية وميسون" سجينة الاهمال في الاونيسكو ؟

الاستاذ « سرور »
و ٢٥٠٠ لوحة

وتابع مصطفى فروخ مسيرته الفنية وهو يضحك ويبكي معا . وفي بيروت اقام عددا من المعارض كان احدها في الجامعة الاميركية وثانيها في مدرسة الصنائع .

ودرس فروخ الرسم في الجامعة الاميركية في بيروت وفي دار المعلمات الرسمية ، اضافة الى عدة محاضرات فنية القاها في الندوة اللبنانية .

وفي عام ١٩٤٠ اشترك في معرض نيويورك الدولي وبعد عشر سنوات دخل اسمه في قاموس الفن العالمي . وهو حائز على الجائزة الاولى لرئيس الجمهورية عام ١٩٥٥ . ويحمل وسام الاستحقاق اللبناني ووسام الارز الوطني من رتبة فارس ومن رتبة ضابط .

وللفنان فروخ نحو ٢٥٠٠ لوحة بيع اكثرها الى الخارج . وله ايضا ثلاث كتب مطبوعة « رحلة الى بلاد المجد المفقود » وهذا الكتاب يدرس فن البناء والزخرف في الاندلس .. و « قصة انسان من لبنان » حيث ترجم حياته باسلوب قصصي ... و « الفن والحياة » الذي يضم مجموعة محاضرات ودراسات فنية . والان يعد نجله هاني مذكرات والده لكي تكون بين ايدي القراء في وقت قريب فيتعرفوا الى مصطفى فروخ الفنان والاديب في آن معا .

والان ماذا عن المدرسة الفنية التي تخرج منها مصطفى فروخ ثم اصبح استاذا فيها ؟

يقول فروخ في معرض كلامه عن « رواد النهضة الفنية في لبنان » انه « قام في عالم الفن مدارس عديدة ومذاهب شتى لم يبق منها غير تلك التي قامت اسسها على الطبيعة ، واستمدت معينها من الحياة ، وهكذا هي لوحات « سرور » . وهي مدعاة فخر واعجاب . وهي مراجع تاريخية وطنية تصل ماضينا بحاضرنا وتحفظ تقاليدنا . وقد ترك لنا : الى جانب ما ذكرناه من اللوحات الدينية ، مواضيع مختلفة ، وامتاز بصور الهيئة والطبيعة الصامتة من طيور وفاكهة تدل على مقدرته وتمكنه من فنه : وهي في الواقع تعد من الروائع » .

والسؤال الان : من هو « سرور » ؟ الجواب انه استاذ مصطفى فروخ بكل ما في الكلمة من معنى . فقد امتازت لوحات فروخ بدراسة روح الطبيعة ونفسية الناس والتأكيد على ابراز الطابع الشخصي واللون المحلي . ويمتاز رسم الفنان فروخ بقوة الخطوط ونقاء الالوان وبالبراعة في تأليف الموضوعات التاريخية والقومية .

حكاية الوجوه الانثوية

ولا بأس من القيام بجولة بين اللوحات الموجودة في منزل نجله هاني وخاصة تلك التي تعكس نماذج من الوجوه الانثوية .

نحن امام لوحة « السفور » وهي رسم لاول امرأة بيروتية مسلمة اسفرت عن وجهها . ما هو اسم هذه السيدة الجريئة ؟ لقد رفض مصطفى فروخ ان يبوح باسمها !

وهذه لوحة « بياعة الصعتر » البدوية . انك تستطيع ان تجدها شخصيا وهي تبيع الصعتر حتى اليوم في بيروت ، كانت هذه البدوية الجميلة تزور منزل